﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ ۖ فَإِذَا جَآءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٤٧﴾﴾ [يونس: 47]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

بيانُ أنّ سُنَّةَ اللهِ ماضيَةٌ بإرسالِ الرّسلِ، والتَّعهُّدِ بإنجاءِ أهلِ الإيمانِ، وإهلاكِ أهلِ الكُفرانِ

لَمّا بَيَّنَ اللهُ سبحانَه حالَ محمَّدٍ ﷺ مع قومِه، وأنَّ المُكذِّبَ المعانِدَ مِنهُم سَيَنالُه عذابُ الآخرةِ قطعًا، وهو العذابُ المؤجَّلُ، وقد يُضافُ إلى ذلكَ تعجيلُ العذابِ لَهُم في الدُّنيا، فقال ﷻ: ﴿وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ ٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ﴾، بيَّنَ أنَّ حالَ كلِّ الأنبياءِ مع أقوامِهم كذلكَ؛ فقال سبحانَهُ: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ ۖ فَإِذَا جَآءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾، فأوضحَ ﷻ أنَّه إذا بعثَ رسولًا إلى أمَّةٍ، فصدَّقَه بعضُهُم وكذَّبَه آخرون؛ فإنَّه تعالى يقضي بينَهُم بالقِسطِ بنجاةِ أهلِ الإيمانِ، وإهلاكِ أهلِ الكُفرِ والتَّكذيبِ[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿قُضِيَ﴾: أصلُ (قضي) يدُلُّ على إحكامِ أمرٍ وإتقانِه وإنفاذِه لجهتِه، قال اللهُ تعالى: ﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ﴾ [فصّلت: 12]؛ أي: أحكَمَ خَلقَهُنَّ[2]، والقَضاءُ: الحُكمُ والفَصلُ، يُقالُ: قَضَى في الأمرِ؛ أي: حَكَمَ وفَصَلَ فيه، والقَضاء: الأمر. قال اللهُ تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ﴾ [الإسراء: 23]؛ أي: أمرَ رَبُّكَ[3]، ويأتي بمعنى الأداء، تقول: قَضَى دَينَهُ؛ أي: أدّاهُ، والقضاءُ: الإنهاءُ والإتمامُ، يُقالُ: قَضَيتُ عَمَلي؛ أي: أنهَيتُه وأتمَمتُهُ، وسُمِّيَ القاضي قاضيًا؛

(1) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 17/261.
(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (قضي).
(3) الأزهريّ، تهذيب اللّغة: (قضي).

لأنّه يَحكُمُ في الأشياءِ، ويُنهي الخِلافَ فيها[1]، والانقِضاءُ: فَناءُ الشَّيءِ وذَهابُهُ، وكذلك التَّقَضّي[2]، ومِن مَعانيه أيضًا: الإيجابُ والإنفاذُ والإتقانُ. وجَمعُ قضاءٍ: أَقْضيَةٌ[3]، والمقصودُ بالقضاءِ في الآيةِ: الفَراغُ والإتمامُ.

2) ﴿بِٱلْقِسْطِ﴾: أصلُ (قسط): يدُلُّ على مَعنَيَينِ مُتَضادَّين، والبناءُ واحدٌ، فالقِسطُ: العَدلُ، يُقالُ: أَقسَطَ الرَّجلُ يُقسِطُ فهو مُقسِطٌ؛ أي: عَدَلَ[4]، وأما القَسطُ - بفَتحِ القافِ - فهو: الجَورُ والظُّلمُ، وقَسَطَ إذا جارَ وظَلَمَ فهو قاسِطٌ، والقُسوطُ: العُدولُ عن الحَقِّ. يُقالُ قَسَطَ، إذا جارَ، يَقسِطُ قَسطًا[5]، ويأتي القِسطُ بمعنَى: الحِصَّةُ والنَّصيبُ، وجَمعُهُ: أقساطٌ، تقولُ: تَقَسَّطوا الشَّيءَ بَينَهُم؛ أي: تَقاسَموهُ[6]، والقِسطاسُ: الميزانُ[7]، والقُسوطُ: المَيلُ عنِ الحَقِّ[8]، والمقصودُ بالقِسطِ في الآيةِ: العَدلُ، وهو التَّسويَةُ بين شَيئين في صفةٍ، والجَزاءُ بما يُساوي المُجزَى عليه[9].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

يُبيِّنُ تعالى في الآيةِ أنَّ لكُلِّ أمَّةٍ رسولًا مِنَ اللّه، يبلّغُهُم ما أمرَه اللّه بتبليغِه، ويشهدُ عليهم بذلكَ يومَ القيامةِ، فإذا جاءَ رسولُهُم وشهدَ؛ بأنَّه قد بلّغَهُم ما أمرَه اللّه بِهِ، قضى سبحانه بينَه وبينَهُم بالعدلِ، فَحَكَمَ بنجاةِ المؤمنِ وبعقوبةِ الكافرِ، ولا يَظلمُ ربُّكَ أحدًا[10].

القضاءُ بينَ العِبادِ قائمٌ على العَدلِ، فلا يُعذَّبونَ بغيرِ ذنبٍ، ولا يُؤاخَذونَ بغيرِ حُجَّةٍ

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (قضي).
(2) ابن عبّاد، المحيط في اللّغة: (قضي).
(3) الجوهريّ، الصّحاح: (قضى).
(4) الخليل، العين، والأزهريّ، تهذيب اللّغة، وابن فارس، مقاييس اللّغة: (قسط).
(5) ابن الأنباريّ، الأضداد، ص: 58، وابن فارس، مقاييس اللّغة: (قسط).
(6) الخليل، العين، والأزهريّ، تهذيب اللّغة، وابن فارس، مقاييس اللّغة: (قسط).
(7) الأزهريّ، تهذيب اللّغة، وابن فارس، مقاييس اللّغة: (قسط).
(8) الخليل، العين، وابن عبّاد، المحيط في اللّغة، وابن فارس، مقاييس اللّغة: (قسط).
(9) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 11/92.
(10) طنطاويّ، التّفسير الوسيط: 11/197.

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغِيُّ:

دلالةُ العطفِ بواو العطفِ في مَطلَعِ الجملةِ:

قولُ اللهِ ﷻ: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ﴾ الآيةُ معطوفةٌ على قولِه قَبلُ: ﴿وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ﴾، وهيَ بمَنزِلَةِ السَّبَبِ لِمضمونِ الجملةِ الَّتي قَبلَها، وقد بَيَّنَت أنَّ مَجيءَ الرَّسولِ للأمَّةِ هوَ مُنتهَى الإمهالِ، وأنَّ الأمَّةَ إنْ كَذَّبَت رسولَها استَحَقَّت العِقابَ على ذلكَ، فكانَ ذلكَ إعلامًا بأنَّ تَكذيبَهُمُ الرَّسولَ هوَ الَّذي يَجُرُّ عليهمُ الوعيدَ بالعقابِ، فهيَ ناظِرَةٌ إلى قولِه تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾﴾ [الإسراء: 15][1].

تَكذيبُ الرُّسُلِ مِن أعظمِ أسبابِ استِحقاقِ العذابِ

دلالةُ اللَّامِ في: ﴿وَلِكُلِّ﴾:

اللّامُ في ﴿وَلِكُلِّ﴾ مِن قولِ اللهِ ﷻ: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ﴾ يجوزُ أن تكونَ لامَ الأجلِ؛ والمعنى: لأجلِ كُلِّ أمَّةٍ أرسَلنا رسولًا أو أُرسِل إليها رسولٌ، أو لِلاختِصاصِ؛ أي: لِكُلِّ أمَّةٍ مَخصوصَةٍ رسولٌ خاصٌّ بِها.

أرسلَ اللهُ ﷻ لكلِّ أمَّةٍ رسولًا خاصًّا بها

نُكتةُ تنكيرِ ﴿أُمَّةٍ﴾ و﴿رَّسُولٌ﴾:

نُكِّرَ لفظُ ﴿أُمَّةٍ﴾ مِن قَولِ اللهِ ﷻ: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ﴾ لِبيانِ النَّوعيَّةِ؛ أي: لكلِّ أُمَّةٍ مِن الأُمَمِ لَها خُصوصيَتُها ونوعيَّتُها الموسومَةُ بها.

والرَّسولُ المُرسَلُ إلى هذه الأُمَمِ كذلكَ خاصٌّ بِهِم؛ لِيقعَ تمامُ الإفهامِ والتَّبليغِ، فتنكيرُ ﴿رَّسُولٌ﴾ كذلك يُرادُ به النَّوعيَّةُ؛ ليُشاكلَ ذلك تنويعَ الأمَمِ، وقد يفيدُ تنكيرُه التّعظيمَ.

أرسَلَ اللهُ سُبحانَه لِكُلِّ أمَّةٍ رسولًا مِنهُم؛ لِيَقَعَ لَهُم تَمامُ الإفهامِ والتَّبليغِ

سرُّ تقديمِ المُسنَدِ ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ﴾:

قُدِّمَ مُتعلَّقُ الخبرِ في قولِ اللهِ سُبحانَهُ: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ﴾؛ لِلتّشويقِ لِلمُسندِ إليه، فعندَ سماعِ صدرِ الجملةِ تتشوَّفُ النّفسُ لمعرفةِ هذا الّذي كانَ لكلِّ أُمَّةٍ.

براعةُ البيانِ القرآنيِّ في التَّصرُّفِ بالألفاظِ، تقديمًا وتأخيرًا

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 11/187.

دلالةُ الفاءِ في: ﴿فَإِذَا﴾:

أرسَلَ اللهُ تعالى لِكُلِّ أُمَّةٍ مِنَ الأُمَمِ ذَواتِ الشَّرائِعِ رسولًا مَعروفًا

الفاءُ في ﴿فَإِذَا﴾ مِن قَولِ اللهِ ﷻ: ﴿فَإِذَا جَآءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ﴾ عاطفةٌ على صفةِ (رسول)؛ والمعنى: يبعثُ إليهم ﴿فَإِذَا﴾، وهي تفريعٌ، قال ابنُ عاشورٍ: "وجملةُ: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ﴾ لَيسَت هيَ المَقصود مِنَ الإخبارِ، بَل هيَ تمهيدٌ للتَّفريعِ المُفرَّعِ عليها بقوله: ﴿فَإِذَا جَآءَ رَسُولُهُمْ﴾ إلخ، فلذلكَ لا يُؤخَذُ مِنَ الجملةِ الأولَى تَعَيُّنُ أن يُرسَلَ رسولٌ لِكُلِّ أُمَّةٍ؛ لأنَّ تَعيينَ الأُمَّةِ بالزَّمنِ أو بالنَّسَبِ أو بالمَوطِنِ لا يَنضَبِطُ، وقد تَخلو قَبيلَةٌ أو شَعبٌ أو عَصرٌ أو بِلادٌ عن مَجيءِ رسولٍ فيها، ولو كانَ خُلوُّها زمنًا طويلًا، فالمعنى: ولِكُلِّ أُمَّةٍ مِنَ الأُمَمِ ذَواتِ الشَّرائِعِ رسولٌ معروفٌ جاءَها"[1].

نُكتةُ تعليقِ الشَّرطِ بـ (إذا):

تحذيرُ الكَفَرَةِ مِن مُخالَفةِ الرَّسولِ ﷺ ومُعانَدَتِهِ

عُلِّقَ الشَّرطُ بـ (إذا) في قولِ اللهِ ﷻ: ﴿فَإِذَا جَآءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ﴾؛ لكونِ (إذا) مُستعملَةً في الأصلِ فيما يُقطَعُ بوقوعِهِ، وهيَ هنا "للظَّرفيَّةِ مُجرَّدة عن الاستقبالِ، والمعنى: أنَّ في زَمَنِ مَجيءِ الرَّسولِ يكونُ القضاءُ بينَهُم بالقِسطِ"[2].ويجوزُ أن يكونَ معنى الاستقبالِ فيها باقيًا؛ لإرادَةِ حكايةِ الحالِ الماضيَةِ؛ ليكونَ ذلك تهديدًا شديدًا للكُفّارِ الّذين كانوا في زمنِ تنزيلِ القرآنِ الكريمِ.

فائدةُ الإضافةِ ﴿رَسُولُهُمْ﴾:

إرسالُ كُلِّ رسولٍ إلى قومِهِ؛ لِكَونِه أشدَّ في الحِرصِ على هِدايَتِهِم

أُضيفَ لفظُ الرَّسولِ إلى الضَّميرِ الرّاجعِ للأُمَّةِ في ﴿رَسُولُهُمْ﴾ من قولِ اللهِ ﷻ: ﴿فَإِذَا جَآءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ﴾ للتَّخصيصِ، فَهي أُمَّةٌ مَخصوصَةٌ، ورسولُهُم معروفٌ لَهُم؛ إذ هوَ مِن أنفُسِهم، ويهمُّه أمرُهُم، وهو شديدُ الحرصِ عليهم، والمرادُ: جاءَهُم رَسولٌ

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 11/187.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 11/187.

خاصٌّ بِهِم يُبعَثُ إليهِم بِشريعَةٍ خاصَّةٍ مُناسِبَةٍ لأحوالِهِم لِيَدعوهُم إلى الحقِّ والهُدى.

دلالةُ جملةِ الجوابِ في ﴿قُضِيَ بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ﴾:

جملةُ جوابِ الشَّرطِ ﴿قُضِيَ بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ﴾ من قولِ اللهِ ﷻ: ﴿فَإِذَا جَآءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ﴾، يجوزُ أن تكونَ "إخبارًا عَن حالةٍ ماضيَةٍ فَيَكونُ ذلكَ في الدُّنيا، ويكونُ المَعنى: أنَّه بَعَثَ إلى كُلِّ أُمَّةٍ رسولًا يَدعوهُم إلى دينِ اللهِ، ويُنَبِّئُهُم على توحيدِهِ، فَلَمّا جاءَهُم بالبيِّناتِ كذَّبوهُ، فَقُضِيَ بَينَهُم؛ أي: بينَ الرَّسولِ وأُمَّتِهِ، فأُنجيَ الرَّسولُ وعُذِّبَ المُكَذِّبونَ. وإمّا أن يكونَ على حالةٍ مُستَقبَلةٍ؛ أي: فإذا جاءَهُم رسولُهُم يومَ القيامةِ للشَّهادةِ عليهم قُضِيَ بَينَهُم؛ أي: بينَ الأمَّةِ بالعدلِ، فصارَ قَومٌ إلى الجنَّةِ وقومٌ إلى النّارِ، فهذا هوَ القضاءُ بَينَهُم"[1].

القضاءُ العَدلُ في الآخرةِ يؤولُ بأهلِ الإيمانِ إلى الجنَّةِ، وبأهلِ الكُفرِ إلى النّارِ

نُكتةُ تقديمِ مَجيءِ الرَّسولِ:

قُدِّمَ ذكرُ مجيءِ الرُّسلِ على ذكرِ القضاءِ بينَهُم في قولِ اللهِ ﷻ: ﴿فَإِذَا جَآءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ﴾، فلم يَرِدِ النَّظمُ القرآنيُّ: (قُضِيَ بينَهُم إذا جاءَ رسولُهم)؛ لكونِ المُقدَّمِ في الآيةِ واقعًا شرطًا والآخر جوابًا، والأصلُ تقديمُ الشَّرطِ على جوابِهِ، وفي هذا التَّقديم أيضًا: تَشويقٌ إلى تَلَقي الخَبَر؛ كأنَّ النَّفسَ تطلَّعَت إلى مَعرفَةِ ما سَيَحدُثُ لهؤلاءِ المُكذِّبينَ المُعانِدينَ بعدَ مجيءِ الرَّسولِ الَّذي سَيَشهَدُ عليهِم بالكُفرِ أو بالإيمانِ.

تَطلُّعُ أهلِ الإيمانِ إلى مَعرفةِ جزاءِ المُكَذِّبينَ المُعانِدينَ للرُّسُلِ

نُكتةُ بناءِ الفعلِ ﴿قُضِيَ﴾ لِما لَم يُسَمَّ فاعِلُه:

بُنِيَ الفعلُ ﴿قُضِيَ﴾ لِما لَم يُسَمَّ فاعِلُه في قولِ اللهِ ﷻ: ﴿فَإِذَا جَآءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ﴾ للعِلمِ به، وهو اللهُ تعالى، فالقضاءُ العدلُ الّذي لا ظُلمَ فيه بوَجهٍ مِنَ الوُجوهِ هو قضاءُ اللهِ تعالى وحُكمُهُ،

قضاءُ اللهِ سُبحانَهُ، هوَ القضاءُ العدلُ الّذي لا ظُلمَ فيه بوجهٍ مِنَ الوُجوهِ

(1) أبو حيّان، البحر المحيط: 6/67.

ويدخُلُ فيه قضاءُ أنبيائِهِ؛ لأنَّ ذلك في الحقيقةِ راجِعٌ إلى قضاءِ اللّه سُبحانَهُ، فكانَ إطلاقُ القضاءِ العَدلِ وانتفاء الظُّلم لا يُرادُ به إلّا قضاؤُه سبحانَهُ؛ إذ قضاءُ غيرِه يدخُلُ فيه الحيفُ والجَورُ.

دلالةُ الظَّرفِ (بَينَ):

قضاءُ اللّه تعالى بينَ الأُممِ ورُسُلِها؛ بإنجاءِ المؤمنينَ وإهلاكِ الكافِرينَ

(بَينَ) مِن قولِ اللّه ﷻ: ﴿فَإِذَا جَآءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ﴾ ظَرفٌ مُتَعَلِّقٌ بالفعلِ ﴿قُضِيَ﴾، وهي كلمةٌ تدُلُّ على: "تَوَسُّطٍ في شيئَينِ أو أشياءَ، فَتَعَيَّنَ أنَّ الضَّميرَ الَّذي أُضيفَت إليه هُنا عائِدٌ إلى مجموعِ الأُمَّةِ ورَسولِها؛ أي: قُضيَ بينَ الأُمَّةِ ورسولِها بالعدلِ؛ أي: قَضَى اللّه بَينَهُم بِحَسَبِ عَمَلِهِم مَعَ رَسولِهِم"[1].

دلالةُ الباءِ في: ﴿بِٱلْقِسْطِ﴾:

إظهارُ عَدلِ اللّه ﷻ في قضائِه بينَ عبادِهِ

الباءُ في ﴿بِٱلْقِسْطِ﴾ من قولِ اللّه ﷻ: ﴿فَإِذَا جَآءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ﴾ يُرادُ بها المُصاحَبَة؛ أي: قُضِيَ بينَهُم قضاءً مَصحوبًا بالعَدلِ، مُبالَغَةً منه ﷻ في إظهارِ عَدلِه؛ أي: قضاءً مَعَ القِسطِ، وتُسَمَّى هذه الباءُ أيضًا: باء المُلابَسَةِ، أو باء الحالِ، والمعنَى: قُضِيَ بينَهُم حالَ كَونِ اللّه تعالى عادِلًا بينَ الجميعِ.

دلالةُ (ال) في ﴿بِٱلْقِسْطِ﴾:

كمالُ عَدلِ اللّه تعالى في القضاءِ بينَ الخلائِقِ

اللّامُ في ﴿بِٱلْقِسْطِ﴾ من قولِ اللّه ﷻ: ﴿فَإِذَا جَآءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ﴾ دالَّةٌ على الكمالِ؛ أي: أنَّ اللّه سُبحانَه يَقضي بينَ الخلائقِ مُؤمنِهم وكافرِهم، مُطيعِهم وعاصيهِم بالقِسطِ الكامِلِ الّذي لا ظُلمَ فيه بوجهٍ مِنَ الوجوهِ.

دلالةُ الواوِ في: ﴿وَهُمْ﴾:

قضاءُ اللّه سُبحانَه ليسَ فيه شيءٌ مِنَ الظُّلمِ، فهو الحكمُ العدلُ

الواوُ في قولِ اللّه ﷻ: ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ يجوزُ أن تكونَ عاطفةً لجملةِ نَفي الظُّلمِ على الجملةِ السّابقةِ، وهي قوله: ﴿قُضِيَ بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ﴾، ويجوزُ أن تكونَ حاليَّةً، والجملةُ بعدَه حالٌ، وهيَ حالٌ

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 11/187.

لازِمَةٌ؛ لأنَّ قضاءَ اللهِ سُبحانَه لا يشتَمِلُ على شيءٍ مِنَ الظُّلمِ في جميعِ الأحوالِ.

ويحتَمِلُ أن تكونَ الجملةُ تذييلًا للجملةِ السّابقةِ مُؤكِّدَةٍ لها في المعنى؛ لأنَّ القضاءَ بالقِسطِ معناهُ: القضاءُ بما لا ظُلمَ فيهِ، قال الآلوسيُّ: "لكلِّ أُمَّةٍ مِنَ الأمَمِ الخاليَةِ رسولٌ يُبعَثُ إليهم بشريعةٍ اقتَضَتها الحِكمَةُ ليَدعوَهُم إلى الحَقِّ، فإذا جاءَ رسولُهُم فَبَلَّغَهُم ودَعاهُم، فكذَّبوه وخالَفوهُ؛ ﴿قُضِيَ بَيْنَهُم﴾؛ أي: بينَ كُلِّ أُمَّةٍ ورسولِها بالعدلِ"[1].

سرُّ تقديمِ المُسنَدِ إليه:

مَقامُ الانتِقامِ، كثيرًا ما يَقتَرِنُ بالتَّجاوُزِ في أخذِ الحقِّ

قُدِّمَ المسنَدُ إليه على المُسندِ الفعليِّ في قولِ اللهِ ﷻ: ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾؛ تأكيدًا لنفي الظُّلمِ عنِ اللهِ سُبحانَهُ، وتحقيقًا لإثباتِ عدلِه ﷻ، ووجه التّأكيدِ أنَّ فعلَ الظُّلمِ أُسنِدَ على وجه النَّفيِ مرَّتين؛ إحداهما إلى الضَّميرِ (هُم)، والأخرى إلى واوِ الجماعةِ في ﴿يُظْلَمُونَ﴾، فكانَ في هذا تكرارٌ للنِّسبةِ، وهيَ مِن مُؤكِّداتِ الجُملِ، وذلكَ مُناسِبٌ لِمقامِ التَّهديدِ؛ لأنَّ الانتقامَ كثيرًا ما يصحبُه تجاوزٌ في أخذِ الحقِّ في حقِّ البشرِ، فبيَّنَ اللهُ سُبحانَه أنَّه مُنزَّهٌ عَن أن يظلِمَ أحدًا.

فائدةُ التَّعبيرِ عن نَفيِ الظُّلمِ بالفعلِ المضارعِ ﴿لَا يُظْلَمُونَ﴾:

أَمَدُ إمهالِ اللهِ تعالى العبادَ، هو إبلاغُ الرُّسُلِ مُرادَه مِنهُم

الفعلُ المضارعُ ﴿لَا يُظْلَمُونَ﴾ يُفيدُ التَّجدُّدَ والحدوثَ، قال ابنُ عاشورٍ: "والمعنى: أنَّ اللهَ يُمهِلُ الأُمَّةَ على ما هيَ فيه مِنَ الضَّلالِ، فإذا أرسَلَ إليها رسولًا، فإرسالُه أمارَةٌ على أنَّ اللهَ تعالى أرادَ إقلاعَهُم عن الضَّلالِ، فانتَهَى أمَدُ الإمهالِ بإبلاغِ الرَّسولِ إليهم مُرادَ اللهِ مِنهُم، فإنْ أطاعوه ﷺ ورَبِحوا، وإنْ عَصَوْه وشاقّوه قَضَى اللهُ بينَ الجميعِ بجزاءِ كُلٍّ، قضاءَ حَقٍّ لا ظُلمَ فيهِ، وهو قَضاءٌ في

(1) الآلوسيّ، روح المعاني: 11/129.

الدُّنيا"[1]، ثُمَّ ساعَةَ وُرودِهم عليه في الآخِرَةِ قَرَّرَهُم بذُنوبِهم الَّتي اقتَرَفوها، فاعتَرَفوا فَجزاهُم عليها بعَدلِه، ولَم يَظلِمهُم.

نُكتةُ بناءِ الفعلِ لِما لَم يُسَمَّ فاعِلُه في ﴿لَا يُظْلَمُونَ﴾:

بُنِيَ الفعلُ ﴿لَا يُظْلَمُونَ﴾ لِما لَم يُسَمَّ فاعِلُهُ؛ للإشعارِ بسُرعةِ القضاءِ مَعَ كامِلِ عَدلِه ﷻ، ولتعميمِ الفاعِلِ؛ فاللّه سُبحانَه لَم يَظلِمهُم، ولَم تَظلِمهُمُ الملائِكَةُ المُوَكَّلَةُ بكتابةِ صحائِفِ أعمالِهم.

الظُّلمُ مَنفيٌّ عن اللّه تعالى في قضائِهِ، ومَنفيٌّ عن الملائكةِ الكاتِبينَ أعمالَ العبادِ

❁ الفُروقُ المُعْجَمِيَّةُ:

القِسطُ والعَدلُ:

القِسطُ: هوَ العدلُ البَيِّنُ الظّاهِرُ، ومِنه سُمّيَ المكيالُ قِسطًا، والميزانُ قِسطًا؛ لأنَّه يُصَوِّرُ لكَ العَدلَ في الوَزنِ حتَّى تَراه ظاهِرًا، وقد يكونُ مِنَ العَدلِ ما يَخفَى، ولِهَذا يردُ القِسطُ بمعنى النَّصيب الَّذي بيَّنتَ وجوهَهُ، وتقسّطَ القومُ الشَّيءَ: تَقاسَموا بالقِسطِ[2]، قال الرّاغِبُ: "هو النَّصيبُ بالعدلِ كالنّصفِ والنّصفةِ. والقِسطُ: هو أَنْ يأخذ قِسطَ غَيرِه، وذلكَ جَورٌ، والإقساطُ: أنْ يُعطيَ قِسطَ غيرِه، وذلكَ إنصافٌ، ولذلكَ قِيلَ: قَسَطَ الرّجُلُ: إذا جارَ، وأَقسَطَ: إذا عَدَلَ"[3].

العَدلُ المساواةُ في المكافأةِ، والقِسطُ العَدلُ البَيِّنُ الظّاهِرُ

أمّا العَدلُ فيُستَعمَلُ فيما يُدرَكُ بالبَصيرَةِ، كالأحكامِ، والعَدلُ هو المُساواةُ في المُكافأةِ إنْ خَيرًا فَخَيرٌ، وإنْ شرًّا فشرٌّ[4].

وفي التَّعبيرِ بالقِسطِ في قولِ اللّه سُبحانَهُ: ﴿فَإِذَا جَآءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ﴾ إشعارٌ بأنَّ عدلَ اللّه تعالى في قضائِه بَينَ الرُّسلِ وأقوامِهِم عدلٌ بيِّنٌ لكلِّ أحدٍ.

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 11/188.
(2) العسكريّ، الفروق اللّغويّة، ص: 248.
(3) الرّاغب، المفردات: (قسط).
(4) الرّاغب، المفردات: (عدل).

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد التاسع عشر، سورة يونس من الآية 15 إلى الآية 75
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1445هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد التاسع عشر، سورة يونس من الآية 15 إلى الآية 75 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 19 ، 804 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-768-16-6
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 19 : المجلد التاسع عشر، سورة يونس من الآية 15 إلى الآية 75.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-768-16-6
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-6365726 بتاريخ 2024/02/07م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»